وما صاحب البيت الحقير بناؤه ... بافزع من رب البلاط المهدد
وما ذاك الاّ انهم قد تخاذلوا ... ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبد
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم ... سوى نوحة مني بشعر مغرّد
وهل انا الا من اولئك ان مشوا ... مشيت وان يقعد اولئك اقعد
وكم رمت ايقاظاً فاعيا هبوبهم ... وكيف وعزم القوم شارد مُرقد
نهوضاً نهوضاً ايها القوم للعلى ... لِتبنوا لكم بنيان مجد موطد
تقدّمنا قوم فابعد شوطهم ... وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا ... فاجحف بالغوريّ والمنجّد
افي كل يوم يزحف الدهر نحونا ... بجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كروب عظيمة ... ويارب خفف من عذاب مشدد

بغداد — معروف الرصافي

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

وانما معنى قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس » (١) اي معصية والكفر والنفاق والمعاصي رجس يدلك على ذلك ان الازلام هي القداح فاي نتن لها ؟ وهذا مثل قوله : « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) اي نفاقاً الى نفاقهم ومثله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٣) وكيف يكون رجساً اي نتناً وهي في الجنة ؟ قال الله تعالى : « وانهار من خمر لذة للشاربين » (٤) فوصفها باللذاذة ولم يصف بذلك غيرها مما ذكر معها . وقال : « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » (٥) ولم يرد فيما يرى اهل النظر ان الزنجبيل باق فيها وانما ارادوا انها تلذع اللسان

---

(١) من المائدة آية ٩٢ (٢) براءة آية ١٢٦ (٣) يونس آية ١٠٠ (٤) الصافات آية ٤٥ (٥) الانسان آية ١٧

كأنها مزجت بزنجبيل . والشعراء تصف افواه النساء براح مزجت بالزنجبيل . قال المسيب ابن علس (١) (كامل)

وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر

وقال الاعشى يشبهه بالزنجبيل والعسل : (متقارب)

كأن جنيًا من الزنجبيـ ـل بات بفيها وأريا مشورا

وقال الجعدي (طويل)

وبات فريق منهم وكأنما سقوناطفامن اذرعات مفلفلا

ولهذا يقول الشعراء للخمر مزّة للذعها اللسان ولا يريدون الحموضة وقال بعض اصحاب اللغة : انما مَزّة بفتح الميم اي فاضلة من قولك : هذا امز من هذا اي افضل وارفع . وقال: « يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب وابار يق وكأس من معين لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون »(٢) فنفى عن خمر الجنة عيوب خمر الدنيا وهو الصداع ونفاد الشراب وذهاب العقل والمال ونحو هذا قوله في فاكهة اهل الجنة « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (٣) فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لان فواكه الدنيا تأتي في وقت وتنقطع في وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن والعرب تسمي الخمر دريافة يريد انها شفاء كالدرياق . قال ابن مقبل (٤) (متقارب)

سقتني بصهباء دريافـة متى ما تلين عظامي تلن

وقال الله تعالى : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » (٥) فالاثم العذاب وكذلك الآثام قال : « ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (٦) اي عقابًا واما منافعها فكثيرة لا تحصى . وانما تقع مضارها مع اكثار وتجاوز المقدار فاما الاقتصار فلم يكن لشاربها قبل التحريم فيها مضار . فمن منافعها ما يصيبه الناس من اثمانها ولولم تعتصر الاعناب لبارت على اهلها . ومن ذلك منفعتها الجسم لانها تدرّ الدم وتقوي المنة (٧) وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أُخذ منها بقدر الحاجة فاذا اخذ الافراط فكل شيء مع الافراط يضر . وكانت الاوائل (٨) تقول : الخمر حبيبة الروح وكان رجل من قدماء الاطباء اذا دخل على عليل لم يرَ فيه موضعًا لسقي الدواء سقاه الخمر الريحانية الممزوجة بالماء ليلقي الروح بحبيبه ويبعث من النفس بالمسرة ما قد اسقطه الداء فان رأى العليل قد قوي قليلاً واحتمل بعض الدواء عالجه . قالوا: ولذلك اشتق لها اسم

(١) من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الاعشى (٢) الواقعة آية ١٧ — ١٩ (٣) الواقعة آية ٣٢—٣٣ (٤) هو تميم بن ابي مقبل جاهلي اسلامي (٥) البقرة آية ٢١٦ (٦) الفرقان آية ٦٨ (٧) في العقد المفدة (٨) في العقد بنو وائل

من الروح فسميت راحًا واصل الراح والروح والرَّوح من موضع واحد الا انهم خالفوا بينها في البناء ليدل كل واحد منها على معناه ويقارب معانيها كتقارب اسمائها فالروح روح الاجسام والروح النفخ لانه ريح يخرج عن الروح والروح طيب النسيم والروح في الريح الهابة . والراح على فعل واصله رَوح فقلبت واوه الفًا لما انفتحت وانفتح ما قبلها ثم اشتقوا الريحان من ذلك لرائحته وربما سموا الخمر روحًا قال النظام (بسيط)

مازلت آخذ روح الزق (١) في لطف ... وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي ... والزق (١) مطرح جسم بلا روح

وربما سموا الخمر دمًا لانها تزيد في الدم والنفس تتصل بالدم . وكذلك قالوا : نفست المرأة اذا حاضت . وقالوا نفساء لسيلان الدم . قال مسلم (طويل)

خلطنا (٢) دمًا من كرمة بدمائنا ... فاظهر في الالوان منا الدمُ الدمُ

وحدثني الرياشي عن مورج عن سعد بن سماك عن ابيه عن عبيد راوية الاعشى قال : قلت للاعشى : اخبرني عن قولك (كامل)

ومدامة (٣) مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سليبها جريالها

فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دمًا . وقال ابن الطثرية (٤) (طويل)

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دمُ الزق عنا واصطفاق المزاهر

وفي الخمر انها تسخي البخيل وتستخرج من اللئيم . قال عمرو بن كلثوم (٥) (وافر)

مشعشعة كأن الحص فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا

ترى اللحز الشحيح اذا امرت ... عليه لماله فيها مهينا

قوله : سخينا من السخاء واراد بقوله اذا ما الماء خالطها لانها لا تمزج الا عند الشرب قال طرفة (رمل)

واذا ما شربوها وانتشوا ... وهبوا كل جواد (٦) وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحقون الارض هداب الأُزُر

وقد عيب بهذا طرفة لانه مدحهم بالعطاء وهم نشاوى ولم يشرط لهم ذلك في صحوائهم كما قال عنترة (كامل)

---

(١) في العقد الدن (٢) في العقد مزجنا (٣) في العقد وسلافة (٤) هو يزيد بن عبيد ابن عمرو ابن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم (من كتاب من ينسب الى امه من الشعراء لابي جعفر محمد بن حبيب خط في الكتبخانة الخديوية مج ٣٢ ص ١٦٠) قتلته بنو حنيفة يوم الفلج فرثته اخته (الشعر والشعراء) (٥) هو المشهور بقتل عمرو بن هند الملك (٦) في العقد اصون

واذا شربت فانني مستهلك ماني وعرضي وافر لم يُكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

والجيد في هذا المعنى قول زهير (طويل)

اخو ثقة لا يذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله

يريد انه يعطي اذا بخلت النفوس . وقال ابن ميادة (١) (بسيط)

ما ان أُلح على الاخوان اسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
وما اخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب

وقال بعض المحدثين (طويل)

كساني قميصاً مرتين اذا انتشى وينزعه مني (٢) اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه (٣) وفي الصحو ترحات (٤) تشيب النواصيا
فيا ليت حظي من سروري وترحتي (٥) ومن جوده ان لا علي ولا ليا

وفي الخمر انها تشجع الجبان وتبعث الحصر العي وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته لمَ لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك ؟ والترك وكثير من العجم يشربونها في الحرب وكانوا في الجاهلية ينالون منها يوم اللقاء وكذلك اصطبحها قوم من المسلمين يوم بدر قبل ان ينزل تحريمها وفي الخمر ان كل شارب يمل شرابه غير شرابها وان احداً لا يقدر يشرب منها فوق الري الا بالكره للنفس على القليل غير شارب الخمر وما اشبهها من المسكر . حدثني القطعي عن ابي داود قال حدثنا ابو بجرة عن الحسن قال: لو كان في شرابهم هذا خير لرووا منه وفي الخمر انها تزيد في الهمة والكبر وتهيج الانفة والاشر (٦) وسق قوم اعرابياً كؤوساً ثم قالوا له: كيف تجدك ؟ قال اجدني اسرّ (٧) واجدكم تحسنون (٨) الي وقال الاخطل (طويل)

اذا ما زياد علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل مني كأنني عليك امير المؤمنين امير (٩)

العلل بين النهل فلذلك قال ثلاث زجاجات لانها نهل وعلل قال النخل (١٠)

---

(١) هو الرماح بن يزيد من بني ذبيان وهو ممن ينسب الى امه من الشعراء (٢) في العقد عني (٣) في العقد بقميصه (٤) في العقد روعات (٤ في العقد وفرحتي (٦) يعني الفرح والنشاط (٧) في الاصل اشرّ (٨) في الاصل تحبون (٩) لم اقع على هذه الابيات في ديوان الاخطل الذي طبعه الاب صالحاني ببيروت (١٠) هو النخل بن عبيد بن عامر بن يشكر من اجمل العرب كان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر حتى قالوا ان ولديها منه (الشعر والشعراء)

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

وقال الاعشي (كامل)

ولقد شربت ثمانيًا وثمانيًا وثمان عشر واثنتين واربعا
من قهوة باتت بيابل صفوة تدع الفتى ملكًا يميل مصرّعا

وقال في الخمر انها تمد في الأمنية قال الاعشي (طويل)

لعمرك ان الراح ان كنت شاربا لمختلف آصالها وغداتها
لنا من صحناها خبث نفس وكابة وذكرى هموم ما تغب اداتها
وعند العشي طيب نفس ولذة ومال كثير عده نشواتها

وفي الخمر انها تطيب النفس وتذهب الهم وكانت ملوك العجم تجعلها مجمة للقلوب ومستراحًا من الشغل . قال اعرابي كان يشرب النبيذ ثم تركه وشرب اللبن (خفيف)

قد تركت النبيذ مذ كن عندي وتحببت رسلهن مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطني ووجدت النبيذ كان صديقا
تعد النفس بالعشي مناها وتسل الهموم سلاً رقيقا

وذكر الهيثم بن عدي عن ابي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ان جبلة بن الايهم (١) قال لحسان : يا ابا الوليد اني مشغوف بالخمر فذمها لي فقال : (طويل)

لولا ثلاث هن في الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزف مثل الجنون ومصرع دفي وان العقل ينأى فيذهب

فقال : افسدتها فامدحها فقال :

لولا ثلاث هن في الكأس اصبحت كأفضل مال يستفاد ويطلب
امانيها والنفس يظهر طيبها على همها والحزن يسلى فيذهب

وفي الخمر ان كل شارب على شرابه يصبر عنه غير الخمر فان لها ضراوة لا يشبهها الا ضراوة اللحم . وكان عمر رضي الله عنه يقول انقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وقالوا : اهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر . واهلك النساء الاصفران الذهب والزعفران وقال الشاعر حين منع اهل الشام من شرب الخمر : (طويل)

الم تر ان الدهر يعبر بالفتى ولا يملك الانسان صرف المقادر

(١) حديث جبلة بن الايهم وارتداده عن الاسلام مشهور

صبرت ولم اجزع وقدمات اخوتي وما انا عن شرب الطلاء بصابر
رماها امير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكون حول المعاصر

فهذه وما اشبهها منافعها في الجاهلية واما منافع الميسر فان اهل الثروه والاجواد من العرب كانوا في شدة البرد وجدب البلاد وكلب الزمان يبسرون اي يتقامرون بالقداح وهي عشرة اقداح على جزور يجزئونها على ثمانية وعشرين جزءا وقد ذكرت هذا في كتاب الميسر وبينت كيف كانوا يفعلون فاذا قمر احدهم جعل اجزاء الجزور لذوي الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا وكانت العرب تمدح باخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم قال متمم يرثي اخاه مالكاً : (طويل)

ولا برما تهدي النساء لعرسه اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

ولم اسمع احداً من الاسلاميين ذكر انه قامر بالقداح فافحش الخاش القائل وهو الاخطل (وافر)

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بقائم كالعير ادعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وآكل ما تفوز به قداحي (١)

قال : واما ذمهم شربة المسكر بقلة الوفاء وسوء العهد فاسوأ من ذلك اقدامهم على السكر وترك الصلوة وركوب الفواحش واعجب منه عقدهم على ان كل مسكر خمر محض لعلة الاسكار وهم يشربونه وعلمهم بان الله حرم المسكر وهم لا يبيتون الا عليه فاذا عوتبوا على شربه مع الاعتماد انه خمر قالوا : لان نشربه ونحن نعلم انه ذنب نستغفر الله منه احب الينا من ان نشربه مستحلين له غير مستغفرين منه . وما ادري أمن الجرأة على الله اعجب ام من العلة . اما الجرأة على الله والاقدام على ما حرم في كتابه عندهم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح ذوات المحارم واما العلة فالطمع في المغفرة وهم مصرون لا ينصرم عنهم يوم جمعتهم الا عقدوا النية على الاجتماع في غده او بعد غده وانما يغفر الله بالاستغفار للمقلعين ويتقبل من المتقين وكيف ما جاهروا الله بالعصيان فيه وهم مستيقنون انه اسلم مما ركبوه وهم غارّون وماذا يقولون في رجل زنى وهو لا يعلم ان الله حرم الزنا وآخر زنى وهو يعلم ان الزنا من الكبائر التي تسخط الرب وتوجب النار ايهم اقرب الى السلامة واولى من الله بالعفو اوليس اهل العلم على ان الذي لا يعلم لا حدّ عليه من جلد وتعزير ولا رجم وان على الآخر حد البكر

(١) هذه الابيات تختلف عن الابيات الموجودة في ديوان الاخطل اختلافاً بيناً ولا شك ان هذه الرواية هي الصواب

ان كان بكرًا وحدّ المحصن ان كان محصنًا فهذه احكام الدنيا واما احكام الآخرة فلولا كراهة التألي على الله لقلنا في الذي ركب الفاحشة وهو لا يعلم ان الله حرمها معفو عنه . وقد روي ان رجلاً اقرّ بالزنا بأُم مثواه فلما أُمر باقامة الحد عليه قال : ما علمت ان الله حرم ذلك فاستحلف ثم درىء عنه الحد . وكانت العلماء تنهى العوام عن كثرة السؤال وقالوا لان يؤتي الشيء على جهل به اسلم من ان يؤتى على علم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البرّ ما سكنت اليه القلوب واطمأنت اليه النفوس والاثم ما حاك في صدرك فكرهت ان تطلع عليه الناس .

تأتي البقية

التقية

لما قرأ احد كبار علماء دمشق ما كتبناه في التقية في الجزء الثالث من مجلد هذه السنة كتب الينا يقول : « ان مسألة جواز التقية قولاً وعملاً عند الصفرية الزيادة فيه نظر اذ المعلوم انها جائزة عندهم قولاً لا عملاً لان المذاهب فيها عند الخوارج ثلاثة عدم جوازها اصلاً عند الازارقة وجوازها قولاً وعملاً عند النجدات وجوازها قولاً لا عملاً عند الصفرية الزيادية » .

وقد عقد في كتاب مشارق العقول لعبدالله بن حميد السالمي العماني الاباضي فصل في التقية فقال :

اجز لتقية بقول ان خلص ... من نيل ضرّ من به القول يخص
وامنعها في اتلاف نفس ان جنى ... واخلف في اتلاف مال ضمنا
ولم تجز لتقية بالفعل ... كالحرق والغرق ومثل القتل
لكن جواز ما أُبيح في الضرر ... كالاكل للميتة والدم اشتهر
ومكره جاء بما الحد يجب ... عليه في ان لا يحدّ نستحب

وقال ابن حزم في الملل والنحل: وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانًا لو سمع مظلومًا قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه او موضع ماله فانه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا